Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

ولكن نجيب محفوظ كان يتحدث بلا شك عن الشعر العظيم، عن الشعر عند المتنبى والمعرى وشوقى وطاغور و«غوته» و«شكسبير» و«فكتور هيغو» و«لوركا»، لا عن الشعر عند شعراء اليوم. إن الشعر العظيم ما زال فعلاً موضع اهتمام النخبة أو الخاصة، ولو أنه لم يعد يكتب اليوم إلا نادراً، ولو أنه ليس شائعًا، ولو أن المرء لو أراد الاطلاع عليه، لتعين عليه أن يعود، فى الغالب، إلى دواوين شعراء رحلوا منذ زمن بعيد.

وفى اعتقادنا أن انكفاء أثر الشعر والشاعر يعود إلى الثورة اللغوية الكبرى التى قام بها الرمزيون، وهى ثورة أدّت إلى ابتعاد الشعر عن الأذن الشعبية. فالقصيدة بعد أن كانت سهلة المنال نسبيًا على هذه الأذن، تحوّلت إلى لغز، إذ اقتصر الدخول إليها على فئة قليلة ذات حساسية فنية مرهفة. فالغموض هو سيد الموقف، والغموض هنا لا يتأتى من المعانى والصور والدلالات وحسب، بل من المشاعر التى تصاحب ذلك، وهى مشاعر تعمد الرمزيون أن تكون غامضة. فالغاية إبهام وإيحاء بأشياء أخرى جديدة. والطريقة إما رمزية وإما إيقاعية تخيلية تنسج على لحن التناغم الكلامى أو التناغم الداخلى. لذلك كان «رامبو» يحتقر الشعر الذاتى الذى يلجأ فيه صاحبه إلى ترجمة أشيائه الذاتية ترجمة مباشرة. هذا الشعر فى رأيه ضيق أنانى تافه لا يفسّر الأشياء والعالم الخارجى. فالغنائية فيه ذاتية بينما يريدها «رامبو» موضوعية، تبعد عن الذات من حيث الموضوع، لا من حيث الينبوع.

والشاعر عند «رامبو» لا يذوب كليًا فى الأشياء التى يرسمها أو يصورها. وعليه بدلا من ذلك أن يستعين بقوى كونية يستشعرها ليفسّر بها الأشياء من سائر الناس، ويبصرها من بعيد، ثم يدع الآخرين يبصرونه.

ويلجأ الرمزيون إلى الأساطير وبخاصة عندما يطرقون موضوعات إنسانية لها علاقة مباشرة بالفلسفة أو الأخلاق. وأكثر ما نرى ذلك لدى الشعراء الرمزيين المحدثين الذين يأتون بأحداث ووقائع ليس لها أى أثر فى الواقع الإنسانى، فينسجون من أخيلتهم موضوعات مسرحياتهم وقصصهم وأشعارهم ويبثون فيها ما يريدون الوصول إليه أو التعبير عنه.

ولا يكتفى الرمزيون أمام موضوعاتهم بالإيحاء النفسى الصورى الذى يتخذ طرقًا مختلفة باختلاف الأشخاص الذين يقرءون ويفسرون، بل يعمدون عن قصد